العلاقات الخارجية للأسرة المظفرية مع أتابكة لورستان الكبرى.
(٧١٨- ٧٩٥هـ/ ١٣١٨-١٣٩٢م).

ناصر مهني محمد

معيد بقسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة المنيا

قامت الدولة المظفرية على يد مبارز الدين محمد الذى اتخذ من مدينة يَزْد في البداية حاضرة لأسرته بعد أن ساهم في زوال حكم أتابكة يَزْد عنها، وبعد أن استطاع مبارز الدين محمد من توطيد دعائم حكمه بدأت أنظاره تتجه نحو أراضي الدول المجاورة له فتباينت سياسته الخارجية وسياسة خلفائه من بعده ما بين مدافعين عن أراضي دولتهم وما بين فاتحين لأراضي الأسر المجاورة لهم، راغبين في توسيع دائرة ملكهم واتساع نفوذ أسرتهم، ونخص بالذكر علاقة الأسرة مع أتابكة لورستان(*)،الذين عاصروا قيام الكيان السياسي للأسرة المظفرية وتوسعها وهم الأتابك آفراسياب، وابنه الأتابك نور الورد بن آفراسياب والأتابك بشنك بن يوسف شاه وأحمد بن بشنك، وقد تراوحت هذه العلاقة بين الأسرتين ما بين سلمية وحربية وهوما سنقوم برصده في الصفحات التالية:

ترجع بداية العلاقة الخارجية بين الطرفين حين قام شرف الدين المظفر والد مبارز الدين محمد في إقرار الصلح بين الأتابك آفراسياب أتابك لورستان (٦٨٨- ٦٩٥هـ/ ١٢٧٣- ١٢٨٩م) والإيلخان المغولي كيخاتو خان(٦٩٠-٦٩٤هـ/ ١٢٩١- ١٢٩٤م)[١]، ونتيجة لتنامى الدولة المظفرية سريعا وتوسعها على حساب الأراضي المجاورة لها، أخذت تزاحم الامارة الفضلوية في منطقة لورستان وتتحين الفرص للتدخل في شؤونها الداخلية، ويقول محمود الكتبي

مؤرخ آل المظفر والمتحيز لهم أن الأمير مبارز الدين محمد كان يغض الطرف عن الأعمال العدوانية للأتابك نور الورد بن آفراسياب (٧٥١- ٧٥٦هـ / ١٣٥٠ــ ١٣٥٥م) ضده، للصداقة القديمة بين والده شرف الدين مظفر وأباء الأتابك نور الورد، كقيامه بإرسال أحد أقاربه(كيومرث بن تكله) على رأس قوه لمساعدة الشيخ أبى إسحق إينجو صاحب شيراز ــ حين كان الأمير مبارز الدين محمد محاصرًا لأصفهان ــ فبعث الأمير مبارز إلى نور الورد وفدًا يضم عدداً من الوجهاء لتعديله عن موقفه المعادي إزاءه ، فلم يجد نفعا[٢]، وكان لذلك أثره في توتر العلاقات بينهما، وإن كنا لا نستبعد أن مبارز الدين محمد كان لا يفكر في ذلك الوقت في خوض معركة على جبهتين في وقت واحد حتى لا يشتت قوى جيشه.

وفى عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م أرسل الأتابك نور الورد القاضي قطب الدين ــ وكان من أكابر قضاة لرستان ــ برسالة وكان الأمير مبارز محاصرًا لأصفهان، ولكن الأمير مبارز لم يسمح له بالعودة حتى رجوع الأمير مبارز إلى شيراز[٣]، ولا تعطينا المصادر التاريخية أي معلومات عما تضمنته رسالة نور الورد إلى مبارز الدين وإن كنا لا نستبعد أنها كانت محاولة من نور الورد لتحسين العلاقة مع الأمير مبارز الدين محمد وخاصة بعدما أيقن قرب نهاية حليفه أبى إسحق إينجو، ويبدو أن سبب رفض الأمير مبارز عودة رسول نور الورد إلى بلاده حتى يتحقق له الانتصار على جيش أبى إسحق وفتح أصفهان وبذلك يضمن عدم مساعدة أتابك لورستان لعدوه ، ومهما يكن من الأمر فقد كان لمبارز الدين محمد أطماع لا حدود لها في بلاد إيران، فبسط سيطرته على أجزاء واسعة من أقاليم فارس وكَرْمَان وخوزستان، وكان يحلم بتملك إقليمي العراق العجمي وأذربيجان ، وتبنى مشروع سياسي واسع لتحقيق ما يجول بخاطره[٤].

وفي أواخر المحرم عام ٧٥٧هـ/ يناير ١٣٥٦م صمم الأمير مبارز على فتح لورستان متخذاً من مساندة الأتابك نور الورد لأبى إسحق ذريعة لاحتلال لورستان الكبرى ، مستغلا الخلاف بين نور الورد ــ وابن عمه وصهره ــ بشنك بن يوسف شاه غير أن برودة الجو قد دفعت أكابر جيش الأمير مبارز على العودة والتوقف عن السير، وفي تلك الأثناء انضم الشاه شجاع إلى أبيه واصبح هو القائد العام على الجيش بعد وصوله إلى منطقة بهبهان(*)، وفي ذلك الوقت وصل الخبر بأن كيومرث قد تأمر مع الشيخ عيسي الكردي وأمراء أخرين، وأنهم قد تهيأوا للقتال بجيش يقدر بنحو عشرة الأف فارس وراجل واستعدوا للقتال، وعلى الجانب الأخر قام الأمير مبارز بتنظيم جيشه، والتحم الفريقان فى معركة شديدة أسفرت نهايتها عن هزيمة نور الورد ومقتل كيومرث بن تكله(٥).

وفى اليوم التالي قدم الأتابك (شمس الدين بشنك) بن الملك سلغر شاه بن الأتابك يوسف شاه مع بعض الأمراء والاتباع لطلب الأمان والدخول في طاعة الأمير مبارز الدين محمد ، فعفا عنهم وأغدق عليهم الأموال ، وعندما وصل الأمير مبارز الدين محمد إلى مدينة إيذج(*) ــ وهى دار الملك ــ علم أن الأمير نور الورد فقد تحصن في قلعة سوسن(*) وكانت مشهورة بالحصانة حيث يحميها خندق وجبل ونهر شوشتر(تستر)(*)، فتوجه الشاه شجاع على الفور إلى تلك القلعة ، وعندما وصل الخبر إلى الأتابك نور الورد أصابه الخوف وتحصن في القلعة ، وعندما طال الحصار عين الشاه شجاع أتباعه للحصار وتوجه هو إلى أبيه بالعاصمة ، وعندما تيسر للأمير مبارز الاستيلاء على مدينة أيذج عاصمة ملك نور الورد، أسند حكم تلك الولاية وقيادتها إلى الأتابك شمس الدين بشنك(٧٥٧ــ ٧٩٢هـ/١٣٥٦ــ ١٣٩٠م) وكان ابن عم نور الورد وصهره أيضًا، وقام شمس الدين بشنك بحصار قلعة سوسن حتى استخلصها وسمل عيني الأتابك نور الورد

وقتله[٦].

هكذا خضعت لورستان الكبرى للدولة المظفرية؛ واستطاع الأمير مبارز الدين محمد من تأديب الأتابك نور الورد نتيجة مساعدته لعدوة أبى إسحق، ولقد ساعدت الأوضاع الداخلية في لورستان الأمير مبارز في السيطرة على الأتابكية فسقوط أي دولة يبدأ من الداخل فلولا المساعدة التي تلقاها من الأمير بشنك والذى كان يطمع في الحكم بدلًا من ابن عمه لكان لتلك الأتابكية شأن أخر .

خضعت لورستان الكبرى في بداية عام ٧٥٧ه/ ١٣٥٦م للدولة المظفرية فقد وجدت عمله باسم الشاه شجاع في مدينة إيذج عام(٧٦٢ه/١٣٦١م) في عهد الأتابك بشنك بن يوسف شاه(٧٥٧ــ ٧٩٢ه / ١٣٥٦ــ ١٣٨٩م)[٧] الذي عينه مبارز الدين في حكم لورستان والذى بقى في طاعة آل المظفر[٨]، وتجدر الاشارة هنا إلى أن معين الدين نطنزي يتجنب الحديث عن تدخل ألاسرة المظفرية في شؤون لورستان، وقيام مبارز الدين بسمل عيني الأتابك نور الورد وابعاده عن السلطة، ويقول أن الشيخ أبى إسحق إينجو كان يحسد نور الورد في مكانته لأنه لم يرتق إلى مستواه، ويؤكد على أن نور الورد ظل أتابكا طيلة تسعة وثلاثون عاماً(٧٥١ــ ٧٩٠ه / ١٣٥٠ــ ١٣٨٨م)[٩]، ولا نعرف لأى سبب تجنب الحديث عن تدخل الأسرة المظفرية في شئون لورستان .

وعلى أية حال ظل الأتابك بشنك على ولائه للأسرة المظفرية لدرجة أنه طلب مساعدة الشاه شجاع في التصدي لشاه منصور(٧٩٠ــ ٧٩٥ه) ــ الذى استولى على شوشتر بإيعاز من السلطان أحمد الجلائري ــ وكان يغير على أملاك الأتابك من حين لآخر ويذيق السكان صنوف من العذاب والقتل، غير أن شاه شجاع كان منشغلاً في ذلك الوقت بالتجهيز للخروج إلى السلطانية لقتال السلطان أحمد الجلائري فأجل الخروج لنجدة الأتابك لما بعد عودته من

السلطانية[١٠]، وبعد تولى الشاه منصور حكم آل المظفر(٧٩٠ــ ٧٩٥ه) فقد ساءت العلاقات بينه وبين بشنك حيث أحتل الشاه منصور شوشتر واتخذها قاعده للهجوم على لورستان الكبرى، مما دفع بشنك إلى الاستنجاد بالأمراء المظفريين، وتمكن من اتخاذ الموقف لصالحه وكف الشاه منصور عن التدخل في شؤونه[١١] .

أغتنم الشاه منصور المظفري النزاع بين أحمد بن بشنك(٧٩٢ــ ٨١١ه/ ١٣٩٠ــ ١٤٠٨م) وأخيه هوشنك وتفرق أمر رجال اللور بين المؤيد والمعارض لهم، وكان هذا فرصة مناسبة للشاه منصور المظفري لتوسيع ممتلكاته واحتواء بلاد لورستان الكبرى، فهاجمها واحتل إيذج العاصمة، فهرب الأتابك ونصب الشاه منصور مكانه شخصا اسمه ملك أويس، وأبعد حوالى ألفى أسره لوريه إلى شيراز[١٢] واستمر الوضع بينهما على هذا المنوال حتى اجتياح تيمورلنك لإقليمي لورستان وفارس ودخول أتابك لورستان تحت طاعته[١٣].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا حسن استغلال حكام الأسرة المظفرية للصراعات الداخلية التي واجهت أتابكة لورستان والتي فتحت الباب على مصرعيه أمام التدخلات الخارجية، إلى جانب رغبة الأمير مبارز الدين محمد في إقامة إمبراطورية تضم اقاليم إيران المختلفة وتوحيدها تحت رايته، فأتخذ من مساندة الأتابك نور الورد لأبى إسحق ذريعة لاحتلال لورستان وضمها، وكذلك الشاه منصور الذي رأى الفرصة مناسبة لتوسيع ممتلكاته واحتواء بلاد لرستان الكبرى، فهاجمها واحتل إيذج العاصمة .

هوامش البحث

(*) منطقة لورستان: هي الأراضي التي سكنتها قبائل اللر إبان الاجتياح المغولي لها؛ وهى تنقسم إلى قسمين اللر الكبرى ، واللر الصغرى، وكانت لورستان الكبرى أكثر أهمية لوقوعها بين فارس والعراق العربي، وقد نزحت إلى لورستان في مطلع القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي حوالى أربعمائة أسرة كوردية من جبل السماق بشمال غرب بلاد الشام، ودخلوا في رعاية أحفاد محمد بن خورشيد وزير نصر الدين الذى كان يحكم لورستان فى القرن الرابع الهجري ، وكان زعيم تلك الجماعات الكردية يدعى أبو الحسن فضلوية وخرجت من أصلابهم أسرة اتابكة اللور الكبرى التي شكلت في منتصف القرن السادس للهجرة أتابكية استمرت إلى منتصف القرن التاسع للهجرة /الخامس عشر الميلادي، واشتهر محمد بن إبراهيم بن على بن الحسن فضولي من بين هذه الاسرة فقد دخل في خدمة الأسرة السلغورية، وتقدم لديهم بفضل شجاعته واقدامه فعلا شأنه وكان محمد هذا يُكنى بأبي طاهر الكردي حيث كان تابعا له فاستقل بالحكم عام٥٥٠ه/١١٥٥م، وكان ذلك بداية تأسيس أتابكية اللور الكبرى والتي سماها البعض باسم الهزارسبية نسبة إلى هزار أسب بن أبى طاهر الذى أرسى قواعدها وجعلها أتابكية حقيقية بعد أن حصل من الخليفة الناصر لدين لله العباسي (٥٧٥ــ ٦٢٢ه/١١٧٥ـ ١٢٢٥م) على لقب الاتابك وتبادلت بينهم الهدايا والخلع. للمزيد عن تلك الأتابكية انظر: الشبنكارى(محمد بن علي بن محمد): مجمع الأنساب ،به تصحيح :مير هاشم ، مؤسسة انتشارات أمير كبير، تهران ، ١٣٦٣ه. شمسي، ص ٢٠٧؛ البدليسي(شرف خان بن شمس الدين بن شرف خان البدليسي الروزكي ت ١٠١٠ه/ ١٦٠١م): شرفنامه ، جـ١، ترجمة : محمد علي عوني ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢م ،ص ٢٨ وما بعدها ؛ شريف رمضان الداودي: لورستان الكبرى (٥٥٠- ٨٢٧هـ/ ١١٥٥- ١٤٢٣م)، دراسة في أحوالها السياسية والحضارية، طـ١، أربيل، العراق ، ٢٠١٠م ، ص ٣.

(١) عقب وفاة أرغون خان أظهر الأتابك آفراسياب (٦٨٤ــــ ٦٩٥ه) أتابك لورستان العصيان فقرر كيخاتو إرسال جيش إلى هناك فالتمس الأمير المظفر من كيخاتو ــــ بسبب مجاورته للورستان ولسابق معرفته بالأتابكة هناك ــــــ أن يسند إليه تلك المهمة ويرد الأتابك عن عصيانه، فصدر الأمر موافقا لا لتماسه، وعندما وصل إلى لورستان قابل الأتابك الذى كان يثق فيه للغاية ونصحه بما يتوافق مع مصلحته ومصلحة بلاده وأحضره إلى معسكر الإيلخان، وعاد الأتابك من المعسكر الإيلخاني بالأوامر والاحكام مرة أخرى إلى لورستان بعد أن جلا الجيش عن تلك البلاد ، راجع : محمود الكتبي : تاريخ آل المظفر، ترجمة وتعليق : ملكة علي التركي (دكتورة)، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩٢م، صـ ٢٧، ميرخواند (محمد بن أمير برهان الدين خاوندشاه ت ٩٠٣هـ): تاريخ روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، جلد جهارم ، طهران ، ١٢٧١م، صـ ٤٤٩.

(٢) محمود الكتبى : المصدر السابق، ص ١١٢ــــ ١١٣، ستوده : المرجع السابق، جـــ ٢، ص ١٤٣.

(٣) الكتبي : المصدر السابق ، ص ١١٣.

(٤) زرار صديق توفيق : كردستان في العهد الجلائري (٧٣٧- ٨١٤هـ /١٣٣٧- ١٤١١م) ، مركز الدراسات الكردية وحفظ الوثائق، جامعة دهوك ، ٢٠٠٩م ، ص ١٢١.

(*) بهبهان : هي حاضرة مقاطعة ممسني اللورية وهي تبعد اثنا عشر كيلو متر عن قلعة سفيد. للمزيد انظر آبرو (شهاب الدين أبي عبد الله بن لطف الله عبد الرشيد ت ٨٣٤هـ) : جغرافياي حافظ آبرو ، جـــ٢، مقدمة تصحيح : صادق سجادي ، جاب أول ، ١٣٧٨ه . شمسي ،ص١١٣.

(٥) الكتبي : المصدر السابق، ص ١١٤؛ رمضان شريف الداودى : المرجع السابق ، ص٩٨.

(*) إيذج : تقع علي الساحل الايسر لنهر كارون وكانت مركز الحكم في عهد اتابكة لورستان وكانت تعرف أيضا باسم مال الأمير للمزيد ينظر: إبن بطوطه(أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللاواتي ت ٧٧٩هـ): رحلة إبن بطوطة (المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، طـ١، مكتبة الإيمان ، المنصورة، ٢٠٠٧م، ص ١١٣، حسينقلي ستودة (دكتور): تاريخ آل مظفر ، جـــ١، إنتشارات دانشكاه تهران، تهران ، ١٣٤٦هـ.شمسي ، ص٢٧٧.

(*) قلعة سوسن : هي احدى القلاع الحصينة في مدينة سوسن والتي تقع علي بعد أربع فراسخ شمال غرب مدينة ايذج وكانت تعرف ايضا باسم عروج (عروح) وكذلك باسم جابلق . للمزيد انظر : كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية (يتناول صفة العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى أيام تيمور)، نقله إلى العربية: بشير فرانسيس ، كوركيس عواد، طـ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م ، ص ٢٨٠؛ ووردت عند القاضى الغفارى باسم قلعة السوس للمزيد انظر : القاضى الغفارى(قاضي أحمد بن محمد الغفاري القزويني ت ٩٧٥هـ): تاريخ جهان آرا، إنتشارات كتبخانه خيان، تهران، ١٣٤٣ه.شمسي،ص ٢١٧.

(*) نهر تستر: أو دحيل تستر هو أحد الأنهار التي تنحدر من منحدرات لورستان الكبرى والصغرى وجبال كوه زرد(الجبل الأصفر) وينحدر منه فرع نحو أصفهان ويشق سلسلة من الجبال المتعرجة حتي يصل إلى مدينة تستر والتي يعدها المستوفي قاعدة إقليم خوزستان ، للمزيد انظر: المستوفي القزويني (حمد الله بن أبي بكر بن أحمد ت ٧٤٠هـ): نزهة القلوب، المقالة الثالثة، بإهتمام: كي لسترنج، ليدن للطباعة والنشر، ١٩١٣م، ص ٢١٥؛ كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٦٨.

(٦) الكتبي : المصدر السابق، ص ١١٥؛ رمضان شريف الداودى : المرجع السابق، ص ٩٨.

(٧) ستوده : المرجع السابق، جـــ ٢، ص ١٤٣؛ رمضان شريف الداودى : المرجع السابق ، ص ٩٨.

(٨) ستوده : المرجع السابق ، جـــ ٢، ص ١٤٤؛ سيد أبو القاسم فروزانى(دكتور) : بررسى مناسبات آل مظفر با أتابكان لر بزر گ ، مجلة بزوهش هاى تاريخى دانشگاه سيستان وبلوجستان ، شماره ٨٩، ١٣٣٩هـ . ش ، ص ١٣٢.

(٩) نطنزي(معين الدين نطنزي) : منتخب التواريخ معيني، بتصحيح : زان أوبن ، كتابفروشي خيام، تهران ،١٣٦٣ه.شمسي، ص ٤٩؛ زرار صديق : المرجع السابق ، ص ١٢٢.

(١٠) الكتبي : المصدر السابق ، ص ١٨٧ــ ١٨٨؛ سيد أبو القاسم فروزانى: المرجع السابق ، ص ١٣٢.

(١١) ستوده : المرجع السابق ، جـــ٢، ص ١٤٤؛ شريف الداودى : المرجع السابق ، ص ٩٩.

(١٢) الكتبى : المصدر السابق، ص ٢١٨؛ ستوده : المرجع السابق ، جـــ ٢، ص ١٤٥؛ زرار توفيق : المرجع السابق، ص ١٢٣.

(١٣) اليَزْدى(شرف الدين علي اليزدي ت ٨٥٨ه): ظفرنامه ، جـــ١، تحقيق: سيد سعيد ومير سابق، ناشر : مؤسسة مطبوعاتي أمير كبير، تهران ، ١٣٣٦ه.شمسي، ص ٤٢٤؛ زرار توفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٣.